المحاضرة رقم02

علاقة الأنثروبولوجيا بالعلوم الاجتماعية

علاقة الأنثربولوجيا بالعلوم الاجتماعية

للأنثروبولوجيا كفرع علمي علاقة بالعديد من العلوم سواء في ميدان العلوم الانسانية أو الاجتماعية، أو في مجال العلوم الطبيعية، فهي تتصل مثلا بالطب في حالة الأبحاث المتعلقة بالصحة و المجتمع و دراسة الحالات المرضية. كما توفر الأبحاث الأنثروبولوجية في الغالب مادة معرفية تسهم هي الأخرى في إمداد شتى الفروع العلمية ذات الصلة بمواد الدراسات الحقلية فتثري الساحة العلمية بمعطيات تزيد من تصويب وإثراء النتائج والقوانين والنظريات المتوصل إليها. وفي مجال العلاقة بالعلوم الاجتماعية و الإنسانية فللأنثروبولوجيا صلات وثيقة ببعض هذه العلوم و التي نذكر منها :

1- علاقة الانتربولوجيا بعلم الاجتماع :

إن العلاقة بين الانتربولوجيا و علم الاجتماع متقاربة في المجالات البحثية فهناك بعض الجوانب في المجال البحثي يلتقي فيها العلمان ، و هما متقاربان مما يؤدي كذلك إلى التقارب في بعض النتائج المتوصل إليها و النظريات المنبثقة عن الأبحاث و الدراسات المنجزة .

وفي هذا الصدد تذكر الأنثروبولوجية لوسي مير في كتابها :"الأنثروبولوجيا الاجتماعية" وهو كتاب مترجم إلى اللغة العربية، أن أقرب فروع العلوم الاجتماعية صلة بالأنثروبولوجيا الاجتماعية هو علم الاجتماع، وكان العالم الأنثروبولوجي راد كليف براون في ثنايا خطابه الذي ألقاه بصفته رئيسا للمعهد الأنثروبولوجي الملكي ببريطانيا أنه ميال لتسمية الأنثروبولوجيا الاجتماعية بعلم الاجتماع المقارن لمن شاء ذلك.

و العلاقة بين علم الاجتماع و الانتربولوجيا علاقة تبادلية فيعمد الباحث السوسيولوجي في الكثير من الأوقات إلى الاستعانة بالمواد و المعلومات الانتوغرافية الحقلية التي قام بجمعها الباحث الانتربولوجي ، و ذلك من اجل إثراء و بناء النظرية الاجتماعية كما يأخذ الانتربولوجي و يستعين بالفرضيات و الفروض التي يسوغها بحث الاجتماعي ، و يعمل على إثباتها أو نفيها أثناء أجراء الدراسات و الأبحاث الحقلية الميدانية و بالتالي يقوم ..... بالمساهمة في نمو البناء النظري .

و بالمقابل إذا تفحصنا العلاقة بين الانتربولوجيا و علم الاجتماع ، فنجد هناك فروقات بين العلمين نذكر منها :

المجالات الاجتماعية التي يتعامل معها علم الاجتماع محدودة ، عكس الانتربولوجيا ،يختص علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية في الحياة المعاصرة ، عكس الانتربولوجيا التي تدرس الظواهر الإنسانية في مجتمعات و أزمان مختلفة (بدائية ، معاصرة) ، (ماضية ، حاضرة) يقوم علم الاجتماع بالتركيز على دراسة نسق من أنساق المجتمع ، و تدرس الأنساق كلها على حده و دراسة مشكلات قائمة بذاتها منفصلة عن النسق العام ، بينما تدرس الانتربولوجيا المجتمع ككل متكامل ،اختلاف علم الاجتماع و الانتربولوجيا في استخدام الأدوات البحثية

2- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس:

إن منطلق الموضوعات البحثية لدى علماء النفس هو الاهتمام بدراسة الفرد بالدرجة الأولى، على أساس أنه وحدة قائمة ومستقلة بذاتها، ومن الاستفهامات التي تشكل منطلق الإشكاليات البحثية لديهم نجد الذكاء الإدراك، الاتجاهات، الشخصية، مختلف الأمراض، وبالمقابل كانت الأنثروبولوجيا تهتم بأشكال السلوك الجماعي أو الجمعي.

وكما يذكر عالم الأنثروبولوجيا العربي أحمد أبوزيد أنه من أجل فهم الثقافة فبالإضافة إلى جانب التأويل التاريخي للثقافة يوجد اتجاه آخر يعمد إلى الاستعانة بعلم النفس لفهم الظواهر الثقافية وهو أيضا اتجاه قديم يرتبط بالاثنولوجيا ارتباطا قويا في كتابات عدد كبير من علماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ممن كانوا يلجأؤون إلى الاستبطان interpretation في محاولتهم معرفة أصل الثقافة البدائية" ونشأتها وبخاصة الدين والشعوذة والسحر والأساطير، وقد ظل هذا الاتجاه سائدا لدى عدد من العلماء المتأخرين نسبيا مثل ماريت R.R.Marett ، في بريطانيا، وبول رادين Paul Radin ، و روبارت لوي Robert Lowie في أمريكا وظهر كذلك الى حد ما في بعض كتابات مالينوفسكي نفسه الذي كان يرى أن الدين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز بشدة الانفعالات كما هو الحال في حالة الوفاة مثلا.[1]

وفي إطار إبراز العلاقة بين علم النفس والأنثروبولوجيا فقد ذكر برتران تروادك في كتابه علم النفس الثقافي، أن علم النفس هو ثقافي، فيبرز لنا مشروع جيروم برونيز الشخصي الذي يذكر فيه هذا الأخير قائلا :" تركز اهتمامي طيلة حياتي على مسألة تمكن الكائنات البشرية من اكتساب المعارف واستخدامها، وقد قادني هذا الاهتمام إلى دراسة الإدراك الحسي والذاكرة والتدرب والفكر واللغة، أي ما يسمى المعرفة، وبما أن المعرفة ليست من اختصاص علم النفس فقط فقد رأيت نفسي مضطرا أن ألجأ تارة إلى علم النفس وأحيان إلى علم اللغات والفلسفة **ومرار إلى علم الإنسان** واليوم إلى الحقوق والقضاء، أما والحقيقة الجلية صعبة الإدراك فقد صرفت نصف حياتي على وجه التقريب لأدرك أن المعرفة لا توجد فقط في رأس الإنسان بل في "أدوات" الثقافة أيضا.[2]

3- الأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية:

إذا كان ادوار تايلور قد صاغ تعريفا للثقافة من خلال قوله أنها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة و العادات والتقاليد والقوانين والأخلاق والدين والتي يكتسبها الفرد من حيث هو عضو بالمجتمع. فقد صاغ من بعده عالم الاجتماع الأمريكي الشهير تالكوت بارسونز تعريفا للثقافة حيث قال أنها نتاج للتفاعل الاجتماعي، كما هي دليل السلوك لما يلي ذلك من تفاعل، وهذا ما يجعل الثقافة على صلة وثيقة بالمجتمع من ناحية وبالشخصية من ناحية أخرى، فالثقافة تتمظهر في نطاق التفاعل الاجتماعي، وهي مكون رئيسي للشخصية، كما تسهم في صناعة قيم الفرد واتجاهاته وتمثلاته لواجباته وحقوقه داخل المجتمع الذي يعيش فيه، مما يسهم في رسم آليات تحقيق الطموحات والأهداف لدى الأفراد في ظل وفاق مع متطلبات المجتمع مما يمنع حدوث الصراع وممارسة الأفعال العنيفة تجاه المجتمع.

4- علاقة الأنثربولوجيا بعلوم التربية:

---

[1] - أحمد أبوزيد: البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع،

[2] - برتران تروادك في كتابه علم النفس الثقافي، هل النمو المعرفي متعلق بالثقافة

إن التربية تعني تنشئة الطفل، والعمل على نموه من الجوانب المختلفة روحيا، وعقليا، وجسميا، وهناك فروقات في أساليب التربية فمن خلال الأبحاث الأنثربولوجية تبين أن في المجتمعات البدائية تقوم الأسرة بمهمة التربية لوحدها، ففي هذه المجتمعات البسيطة لا توجد المؤسسات التربوية المتخصصة. وقد انشغل الكثير من الأنثربولوجيين على أساليب وطرائق التربية في المجتمعات البدائية، كما اهتم آخرون بالأساليب التربوية في حياتنا المعاصرة تحت مسمى التربية الحضرية، وكيف تساهم مؤسسات مختلفة كالروضة، والمدرسة في تنشئة الطفل إلى جانب الدور الذي تقوم به الأسرة.

5- علاقة الأنثربولوجيا بالرعاية الصحية

تطورت الدراسات الأنثربولوجية الخاصة بمعالجة مشكلة الرعاية الصحية ومرت بأطوار متعددة، ففي القرن السادس عشر عالج بعض العلماء البريطانيين البحارة المصابين بسوء التغذية بعصير الليمون، كما أن العالم الايطالي " **فرانكا ستورو**، Francostoro" تفطن في منتصف القرن العشرين إلى عدوى المرض من حيث أساسها الاجتماعي لا من حيث أنها عملية فسيولوجية بحتة، وكان ذلك حين عالج عدوى أمراض الطاعون وحمى التيفوئيد على أساس أنها انتشرت عن طريق اختلاط المرضى بالأصحاء اختلاطا مباشرا وقرر حين إذ أن أمراض الطاعون والتيفوئيد والتيفوس إنما تنتشر بطريق السريان الاجتماعي والانتقال من خلايا التجمعات والمشاركة المعيشية.[3] وهذه بعض الأمثلة فقط فللأنثربولوجيا علاقات كذلك بالعلوم الاقتصادية والنفسية والقانونية والمجال الجغرافي بكل مكوناته، إضافة إلى علاقتها بالهندسة وتهيئة البيئة السكنية للإنسان.

6- علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ:

إن الأنثروبولوجيا التاريخية هي حصيلة تقارب متبادل بين التاريخ والأنثروبولوجيا، فكان الأنثروبولوجيون قد أدركوا بشكل أفضل البعد التاريخي للمجتمعات محل اهتمامهم البحثي، وكان المؤرخون لا سيما الفرنسيون منهم قد كانوا بشكل جاد بأبحاثهم من خلال مجلة حوليات، يبرزون التقارب عبر تاريخ " العقليات" وأهميته لبنى الحاضر اليومي والتطورات البطيئة للفترة الطويلة، وقد أفادت الأنثروبولوجيا التاريخ كثيرا خصوصا في التناول الموضوعاتي فأخرجته من المواضيع التقليدية، إلى موضوعات أكثر حداثة، كما أنزلته كذلك للميدان والحقل، وكان ما قد أتى به التاريخ يظهر بشكل خاص في مجال تاريخ العائلة والقرابة، وتقنيات ورمزية الجسد، والميثولوجيا والبنية الفولكلورية، وتصورات السلطة.[4]

يفيد مفهوم الاناسة التاريخية المحاولة التي تصل بين عدة آفاق أناسية وصل غرض البحث ومنهجه، وهي تنظر إلى هذه الآفاق من حيث طابعها التاريخي والثقافي، فالاناسة التاريخية أنجزت بحوثها في زمن لم يعد فيه للطابع المعياري وللقوة الملزمة الصادرين عن الأناسيين قادرين على مدنا بأي ضمانة أو ثقة بالنفس، ودعواها القائلة إن التاريخ الإنساني يقبل التشكل بمعنى العقل والتقدم أصبحت دعوى يشوبها الشك، ففي الأناسة التاريخية باتت الوثوقيات الظاهرة

---

[3] – أحمد الخشاب : دراسات أنثربولوجية

[4] - *Pierre Bonte et Michel Lzard, Dictionnaire de l ethnologie et de l'anthropologie,*

للحياة الاجتماعية والثقافية موضع سؤال وبدت عليها الغرابة فأصبحت موضوعا للبحث وغرضا، وتوجهت بحوثها نحو الثقافات الإنسانية في أماكن وأزمنة محددة ونحو ما يحصل فيها من تغيرات. وهي لا تهدف إلى دراسة ثوابت الإنسان بل بدلا من ذلك صارت تؤكد على الطابع التاريخي والثقافي لموضوعات بحثها ومعارفها.[5]

7- علاقة الأنثروبولوجيا بالطب:

الانتروبولوجيا الطبية هي "دراسة كلية مقارنة للثقافة ومدى تأثيرها على المرض والرعاية"، وقد تزايد الاهتمام بهذا العلم وذلك انطلاقا من إدراك ما للثقافة من دور وتأثير على قضايا الصحة والمرض، مثل منشأ المرض وتطوره، وانتشاره المكاني أو الجغرافي وكذلك الوسائل والأساليب التي تعتمد عليها المجتمعات في مواجهته، والطرق المناسبة من أجل نشر الطب الحديث في المجتمعات التقليدية، وكيفية تحسينه وطرائق تطويره .[6]

كانت الأنتربولوجيا الطبية قد عرفت ازدهارا معتبرا، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية لما أسهمت في دراسة المشكلات الطبية، فكانت هناك دراسات تناولت وصف المفاهيم الأسطورية والمعتقدات المرتبطة بالصحة والمرض والممارسات في المجتمعات البسيطة، وكانت هذه الدراسة قد شكلت محاور أساسية في مجال الدراسات الانتروبولوجية ونذكر منها على سبيل المثال :دراسات "إيفانز بريتشاردPritchard (1937) وريفرز Rivers (1924) وكليموش دراسة كاوديل "، وكانت دراسة هذا الأخير قد ألقت الضوء على أهمية الانتربولوجيا في المجال الطبي، وكانت نقطة تحول حيث انخرط انثربولوجيون وعلماء اجتماعيون كثر في الاهتمام بالبرامج الصحية والبحث الطبي والتعليم الطبي وغيرها من المجالات الطبية، وكانت الفترة الممتدة بين (1962 .1982) قد عرفت تطورا ملحوظا في مجال الانثربولوجيا .[7]

وترتكز الانثربولوجيا الطبية على دراسة أثر الثقافة على الصحة والمرض وذلك من خلال :

1. مساهمة الثقافة في صناعة تمثلات الصحة، والمرض لدى الفرد وطرق الوقاية والعلاج من الأمراض.

2. تعمل الثقافة على تحديد طريقة انتشار المرض، وطريقة الحد من انتشاره .

3. تعمل الثقافة على ترسيخ قناعات لدى الأفراد من جدوى الطب الحديث، وبالتالي التحكم في مدى استجابة الفرد، ودرجة تفاعله مع الأساليب الطبية الحديثة .

4. تعمل الثقافة على إبراز مفهوم المرض، والاستجابة له، فما يعتبر مرض في ثقافة اجتماعية ما، قد لا يكون كذلك بالنسبة لجماعة أخرى .

---

[5] - كريستوف فولف: علم الاناسة، التاريخ والثقافة والفلسفة، ترجمة :أبو يعرب المرزوقي،

[6] - علي محمد المكاوي: الأنثروبولوجيا الطبية

[7] - علي محمد المكاوي: المرجع نفسه.